

« شعرية الكتابة » ، انطلاقاً من الشعرية الشفوية ذاتها . كان أصحاب هذه القراءة يقرأون النصّ القرآني بوصفه نصّاً كونياً - روحياً وفكرياً ، فلم يكن ، بالنسبة إليهم فطرة وحسب ، وإنما كان أيضاً ثقافة ، ورؤية فكرية شاملة . فلئن كانت لغة القرآن نبوية أو إلهية من جهة كونها وحياً ، فإنها في الوقت نفسه ، شعرية - من حيث أنها هي نفسها لغة الشعر الجاهلي . ولئن كانت مقدسة بوصفها لغة نزل بها الوحي الإسلامي ، فإن هذه القداسة مُحايثةٌ للتاريخ - أو هي ، بمعنى ما ، تاريخية - فهي إلى جانب كونها تنقل رؤية الغيب ، تنقل ما هو إنساني - ثقافي . إنها التّعالِي المُحايث ، هي التّعالِي والمُحايثَةُ في آن .

ومعنى ذلك أنّ النصّ القرآني كان في هاتين القرائتين ، وفي جميع الحالات ، أساس الحركية الثقافية الإبداعية ، في المجتمع العربي ، الإسلامي ، وينبوعها ومدارها . غير أنّ القراءة الثانية هي التي مهدت ، كما أرى ، للنقلة من الشفوية الشعرية الجاهلية إلى شعرية الكتابة . وبهذه القراءة ، وفي مُناخها صاغ الجرجاني مبادئ الشعرية الكتابية ، فيما كان يصوغ نظرية النظم القرآني . وكان قد مهد لها بعض النقاد ، خصوصاً الصولي (توفي سنة ٣٣٦ هـ .) .

هكذا يمكن القول إن النصّ القرآني الذي نُظر إليه بصفته نقياً للشعر ، بشكلٍ أو آخر ، هو الذي أدّى على نحوٍ غير مباشر ، إلى فتح آفاقٍ للشعر ، غير معروفة ولا حد لها ، وإلى تأسيس النقد الشعري ، بمعناه الحقّ .